القبر من الداخل

الدكتور / مسعد السيد

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي وآله وبعد :

فهذا حديث إلى أخ لي حبيب . قد أراه في كل صف من الصفوف . قد أراه بين كل اثنين . . . أراه في كل مسلم رضي بالله ربا، وبمحمد، صلي الله عليه وسلم نبيا ، وبالإسلام دينا . . .

أخ لي .. . . لم يسلم من أخطاء سلوكية، وكلنا خطاء. . لم ينج من تقصير في العبادة وكلنا مقصر! ! . . ربما رأيته حليق اللحية، طويل الثوب ، مدمنا للتدخين ! ! . . بل ربما أسر ذنوبا أخرى ونحن المذنبون أبناء المذنبين ! ! .

نعم ! أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثا أخصك به ، فهل تفتح لي أبواب قلبك الطيب ونوافذ ذهنك النير؟! ! . و الله الذي لا إله إلا هو إني لأحبك . . أحبك حبا يجعلني ... أشعر بالزهو كلما رأيتك تمشي خطوة إلى الأمام ! ! . .

وأشعر والله بالحسرة إذا رأيتك تراوح مكانك أو تتقهر ورائك !!. أحدثك حديثا اسكب روحي في كلماته . وأمزق قلبي في عباراته . .

إنه أخي حديث القلب إلى القلب . حديث الروح للأرواح يسري وتدركه القلوب بلا عناء. هل تظن أن أخطاءنا أمر تفردنا به لم نسبق إليه ؟! . كلا. .. فما كنا في يوم ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولكن نحن بشر معرضون للخطيئة، يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم . وكل من ترى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب

وخطايا. قال ابن مسعود- رضي الله عنه- لأصحابه وقد تبعوه : "لو علمتم بذنوبي لرجمتموني بالحجارة"، وقال حبيبك محمد، صلي الله عليه وسلم : "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم) والله أخي لقد أحرقتنا الذنوب ، والمتنا المعاصي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني سمعك يا رعاك الله ! ! . إن هذه الخطايا ماسلمنا منها ولن نسلم ، ولكن الخطر أن تسمح للشيطان أن يستثمر ذنبك ويرابي في خطيئتك . أتدري كيف ذلك ؟ ! ! . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب خندق يحاصرك فيه لا تستطيع الخروج منه . . يلقي في روعك أن هذه الذنوب تسلبك أهلية العمل للدين أو الاهتمام به . ولايزال يوحي إليك : دع أمر الدين والدعوة لأصحاب اللحى الطويلة! والثياب القصيرة! دع أمر الدين لهم فما أنت منهم ! ! .

وهكذا يضخم هذا الوهم في نفسك حتى يشعرك أنك فئة والمتدينون فئة أخرى. وهذه يا أخي حيلة إبليسية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى من أن تمر عليك . فأنت يا أخي متدين من المتدينين . . أنت تتعبد لله بأعظم عبادة تعبد بها بشر لله . أن تتعبد لله بالتوحيد. أنت الـــذي حملـــك إيمانـــك فطهرت أطرافك بالوضوء، وعظمت ربك بالركوع ، وخضعت له بالسجود. أنت صاحب الفـــم المعطر بذكر الله ودعائه ، والقلب المنور بتعظيم الله وإجلاله . فهنيئا لك توحيدك وهنيئا لك إيمانك . إنك يا أخي صاحب قضية . . أنت أكبر من أن تكون قضيتك فريق كروي يكسب أو يخسر. . أنت أهم من أن تدور همومك حول شريط غنائي أو سفرة للخارج . . أنت أهم مـــن أن تـــدور همومك حول المتعة والأكل . فذلك كله ليس شأنك ، إن ذلك شأن غيرك ممن قال الله فيهم

(محمد ١٢٠)

أخي أنت من يعيش لقضية أخطر وأكبر هي : هذا الدين الذي تتعبد الله به. . . هذا الدين الذي هو سبب وجـــودك في هذه الدنيا وقدومك إلى هذا الكون (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ٠ (الذاريات إن أود أن أذكرك مرة أخرى أن تقصيري لا إياك في طاعة ربنا أو خطئي وإيـــاك في سلوكنا لا يحللنا أبدا من هذه المسئولية الكبرى ولا يعفينا من هذه القضية الخطيرة انظر يا رعاك الله إلى هذين الموقفين : وأرجو أن تنظر إليهما نظرة فاحصة . وأن تجعلهما تحت مجهـــر بـــصيرتك : واسمع عن كعب بن مالك -رضي الله عنه - حيث وقع هذا الصحابي في خطا كبير، وهو التخلف عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . ولو ظللنا نتكتب عن ذلك ما وفينا الأمر حقه ولكن جعلنا الحديث جامع بين ذلك وذاك فكانت السلسة هكذا تحدث الدعاة الهدف منها هو وضع الطريـــق لجيل التمكين حتى يتمكن الإيمان من القلب فطوفنا على خطب العلماء وكتبناها وأضفنا ما يمكن في باب مستقل حتى تعم الفائدة وجعلنا كل خطبة في رسالة وكانت هذه الرسالة موجهة لجيل التمكين وشباب الصحوة فجرا الله العلماء خير الجزاء ونفعنا الله بعلمهم وجزاهم عنا خير الجزاء ..

واللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهوال القبور

ستموتون والله ، ذلك الحق الذي لا مرية فيه ، وخبر الصدق الذي لا يتسرب إليه الشك ، ولعله ليس بالخبر المفاجئ لكم ، إنها رسالة ربانية تعرفونها من دنياكم الفانية، ولا أريد أن أفجعكم ، ولكنها الحقيقة الراسخة رغم أنف كل معارض .

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه

إذا ما تخطته الأماني باطل

ستموتون والله

" الموت " .... إنه قادم لا محالة .

" الموت " .... إنه آتٍ ولا مرد له .

" الموت " ... ... إنه يأتي بغتة .

" الموت " ....لا يطرق بابك .

" الموت " لا يستأذنك .

" الموت " دين على كل أحد .

" الموت " ساعتك وساعة كل أحد .

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُم

دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرّ مِنْهَا الأنامل

فيا أخا الموت .. مالك أتعبت نفسك في كسب الحطام الفاني ولن يبقى لك .

يا أخا الموت .. سيسلبك الموت أثوابك ويمنعك مما تشتهي ، فمالك أفنيت بدنك من أجل متاع قليل .

قال الله :

فهل لك من الموت من راق ، فمالك أتراك تفر منه أم أنه سيولى عنك ، أما رأيته لا يعرف صغيرا من كبير ، ولا غنيًا من فقير ، ولا قويًا من ضعيف ، ولا عزيزًا من ذليل .

كم من عزيزٍ أذل الموتُ مصرعه

فلماذا أخلدت إلى الأرض ، هل علمت من نفسك أنك ستبقى فيها ، ألست ترى المشيع ينعي كل يوم من قريب أو صاحب ، فلماذا لم تعد لذلك اليوم عدته ؟

عَجَباً لامرئٍ يرى الأرضَ مثوا

هُ وأقصى منـــاه كسبُ الثراءِ

وكفى المرءَ منـــذراً بدنوِّ المو

ت فــقــدُ الأتــرابِ والقُرناءِ

الموت قدر الله ، وقدر الله حتم لازم ، فهل تستطيع أن ترده ؟

! إنا نعلَّلُ بالدواءِ إذا مَرِضْنا ، ولكن هل يشفي من الموتِ الدواءُ ؟ إنا نختارُ الطبيبَ إذا سقمنا ولكن هل طبيبٌ يؤخرُ ما يقرهُ القضاءُ ، يا أخا الموت أنفاسُنا حسابٌ.

إذا كـــان أمرُ اللّـــهِ أمـــراً يقـــدَّرُ

فكيف يفرُّ المرءُ منه ويحذرُ؟

ومن ذا يردُّ الموتَ أو يدفع القضا

وضربتُهُ محتومةٌ ليس تعثرُ

معي نتأمل هذا المشهد العظيم ، هذه اللحظة الرهيبة ، قف واسأل نفسك إلى أين ... ؟ وحتى متى ...؟ قل لها : أما رأيتِ من بغتهم الموت كانوا مثلك لا يعتقدون أن قد آن أوانه ، فما لبثوا أن جاءهم فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ، فتوبي قبل أن تقولي هل إلى مرد من سبيل فيقال : كلا ، قل لها :

يا نفسُ توبي فإن الموتَ قد حانا

واعصِ الهوى فالهوى مازال فَتَّانـــا

في كل يـــوم لنا مَيْـــتٌ نشيـــعهُ

ننســـى بمصرعهِ آثـــارَ مَوْتـــانـــا

يا نفسُ مالي وللأموالِ أكنزُهـــا؟

خَلْفي وأخرجُ من دنـــيايَ عريانـــا

ما بالُنا نتعامى عن مَصارِعنا؟

ننسى بغفلتِنا من ليس يَنْســـانـــا

قل لها :

الموتُ ضيــفٌ فاستعــدَ لهُ

قــبلَ النــزولِ بأفضلِ العددِ

واعملْ لــدارٍ أنتَ جاعلَها

دارِ المقامــةِ آخــرَ الأمــدِ

يا نفسُ موردُكِ الصراطُ غداً

فتأهبي من قبــل أن تــردي

هذه الدنيا كل ذي نعمة مخلوسها ، وكل ذي أمل مكذوب ، وكل ذي مال موروثها وكل ســلب مسلوب ، وكل ذي غيبة يؤوب لكن غائب الموت لا يؤوب .

فما بالنا سكارى كأن الموتَ يأخذُ غيرنا فداءً لنا كيلا يَمُرَّ بنا حَتْف . تعال بنا نقلب صفحة من صفحات هذا الغيب المهيب ، تعال لنداوي قسوة قلوبنا ، بنا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة ، بنا نجتاز العسرة قبل يوم الحسرة ، بنا نذكر الموت قبل الفوت . وقد حثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لذلك فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم : " أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ـــ يَعْنِي الْمَوْت ـــ " [1].

قف وتأمل

احضر بقلبك ذكر من كان متردداً في أغراضه كيف تهدمت رجلاه في قبره . يقول الرافعي : كل من يهرب من شئٍ يتركه وراءه إلا القبر فما يهرب منه أحد إلا وجده أمامه ، هو أبداً ينتظر غــير متململ ، وأنت أبداً متقدم إليه غير متراجع.

أخي في الله

تأمل : **صاحبك في القبر**

- كان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله ، فإذا به في قبره وقد سالت عيناه.
- كيف كان يصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه.

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) كتاب الزهد عن رسول الله ، باب ما جاء في ذكر الموت . وقال : حسن صحيح غريب . وصححه الشيخ الألباني ــ رحمه الله ــ في صحيح الترمذي (١٨٧٧) .

- كيف كان يضحك لمواتاة دهره ، قد أبلى التراب أسنانه.

تأمل وتذكر :

بل وتحقق وتأكد أن سيكون حالك كحاله ، ومآلك كمآله ، وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنك جميع الأغيار الدنيوية ، وتقبل على الأعمال الأخروية ، فتزهد في دنياك ، وتقبل علـــى طاعـــة مولاك ، يلين قلبك ، وتخشع جوارحك ، فزيارة ذلك الواعظ من أكبر أسباب تقوية القلب ، وإزالة تلك الغشاوة .

فأنت عندما تذهب إلى المسجد يوم الجمعة تستمع إلى واعظ واحد ، فالمصلون كثيرون والـــواعظ واحد ، ولكن الصورة تنقلب في المقبرة حيث تتحول كل القبور إلى وعاظ ، وأنت تستمع إليهم في آن واحد ، فالمستمعون قليل والوعاظ أكثر.

وهذه حالة فريدة لا تكون في أمور الدنيا إلا في ذلك المكان ، فالقبر ما يفتأ صامتا لا يتكلم ، ولكن صوته في أعماق الناس أعلى من صوت ذلك الواعظ الجهوري الصوت في المسجد .

تعالوا بنا لنزور ذلك الواعظ الصامت ، نقف عنده مليا لنتدبر حديثه الدائم ، عسانا نعتبر .

إنّه القبر

القبر

لا يملك العبارات المنمقة المصفوفة ، ولكن منظرة أعمق من كل عبارات الوعاظ.

القبر

لا تتحرك يديه ، ولا يتلفت بوجهه ميمنة وميسرة ؛ ليجذب جمهور المستمعين والمشاهدين بخطبتـــه ؛ لأن الجاذبية تركزت فيه تجذب القلوب قبل الأجساد.

القبر

ما هو إلا تلك الحفرة التي سينام فيها الإنسان ، عندما تتوقف الآلة التي كان يعمل من خلالها بعد أن ينتهي من أداء الاختبار الذي كان قد كلف بأدائه .

القبر

الذي تظهر فيه النتائج الأولية للاختبار بعد أن يستقر بهذه الحفرة .

∃ يقول الرافعي :

" فتحنا القبر وأنزلنا الميت العزيز الذي شفي من مرض الحياة ، ووقفت هناك بل وقف التراب المتكلم ينقل عن التراب الصامت ، ويعرف منه أن العمر على ما يمتد محدود بلحظة ، وأن القوة على ما تبلغ محدودة بخمود ، وأن الغايات على ما تتسع محدودة بانقطاع ، وحتى القارات جميعها محدودة بقبر " .

فما ذلك الواعظ الصامت إلا تلك الحفرة التي تُسَمَّى القبر.

هو كما يناديه الرافعي أيضاً فيقول :

" واهاً لك أيها القبر ، لا تزال تقول لكل إنسان تعال ، ولا تبرح كل الطرق تفضي إليك ، فلا يقطع بأحد دونك ، ولا يرجع من طريقك راجع وعندك وحدك المساواة .

فما أنزلوا قط فيك ملكا عظامه من ذهب ، ولا بطلا عضلاته من حديد ، ولا أميرا جلده من ديباج ، ولا وزيرا وجهه من حجر ، ولا غنيا بجوفه خزانة ، ولا فقيراً علقت في أحشائه مخلاة ، واهاً لك أيها القبر " .

و تالله لولا قسوة القلوب والانشغال بالوسائل التي تعين على أداء الهدف الذي خلقنا من أجله لتذكر الإنسان عند ولادة كل مولود اليوم الذي يدفن فيه .

يقول ابن الجوزي : " عبر مهد الطفل عنوان اللحد " .

فكما يلف الطفل المولود بقطعة قماش بيضاء ، ويوضع في المهد بلا حراك ، فكذلك الميت أيضاً يلف بقطعة بيضاء هي آخر ثوب يلبسه بالدنيا ، ليبقى في مهد الأرض دون حراك إلى يوم البعث .

زوروا القبور

يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فإنها تُرق القلب وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هُجرا[٢].

إن هذا الحديث وأمثاله تدفع المؤمن للانخلاع من جو الركود واللاشعور الذي تعود العيش فيه إلى عالم الاستشعار والتذكر.

يقول المناوي معلقاً على الحديث السابق : " ونعم الدواء لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه ".

وللتراب الصامت صوت لا يسمعه إلا من تذكر هادم اللذات ، وهو أمامه يتأمل ومحاورته متعة لا يحوزها إلا من أراد أن يكون من أبناء الآخرة ، واستن بسنة الإمام على (رضي الله عنه) بتطليق الدنيا بثلاث.

حوار مع القبر

اقرأ لهذه المحاورة بين الرافعي والقبر

! يقول : سألت القبر : أين المتاع والمال ؟ أين السحر والجمال ؟ أين الصحة والقوة ؟ أين المرض والضعف ؟ أين القدرة والجبروت ؟ أين الخضوع والذلة ؟

قال : كل هذه صور فكرية لا تجيء إلى هنا لأنها لا تؤخذ من هنا .

! هكذا يتوقف كل شئ هناك في تلك الحفرة تتوقف الابتسامات والقهقهات ، يتوقف الجدال والصرخات ، ويتوقف العناد والكبرياء ، ويتوقف الأمل والجشع ، ويتوقف الإخلاص والرياء ، ويتوقف العجب بالمنصب والجمال ، يتوقف الافتخار بالعشيرة والجاه ، يتوقف الغرور بالقوة والعقل ، كما يتوقف ظلم من ظلم ، وذلة من استذل ، يتحول الوجه الفاتن واليد الظالمة واللسان الكذوب والعين الخائنة والقلب القاسي إلى جماجم ، وأعظم نخرة تعبث بها الديدان من كل جهة ، ولا يبقى إلا العمل الذي قدمه صاحب القبر ، يسأله عنه منكر ونكير ، ولا يبقى بعدهما إلا هذا الجليس المؤنس الوحيد .. العمل.

---

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٢/١) وصححه الشيخ الألباني ــ رحمه الله ــ في صحيح الجامع (٤٥٨٦) .
قال ابن الأثير في النهاية : هجرا أي فحشا .

! وأينما يذهب الإنسان تتلقاه أسئلة كثيرة : ما اسمك ؟ ما صناعتك ؟ ما وظيفتك؟ ما مؤهلاتك ؟ كم عمرك ؟ كيف حالك ؟ ماذا تملك ؟ ما صحتك ؟ وطنك ؟ ما رأيك ؟ ما طلباتك ؟ رغباتك ؟ أمنياتك ؟ .

! عند القبر يبطل هذا كله ، كما تبطل اللغات البشرية كلها في الفم الأخرس ، وهناك ينطق بسؤال واحد للإنسان ما عملك ؟.

فإما عمل يحيل قبره إلى روضة من رياض الجنة ، وإما عمل يحيل قبره إلى حفرة من حفر النار.

ولكن كل ما ذكرت لا يكون إلا لمؤمن صادق يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويصدق بعقيدة عذاب القبر ونعيمه ، وفي زمن الجهل والبلبلة لعقائد المسلمين لابد أن نعود لتثبيت عقائد الملايين بذكر أصول هذه العقيدة.

عقيدة أهل السنة والجماعة

في عذاب القبر

قال الإمام الطحاوي في ذكر العقيدة الإسلامية :

نؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران " .

قال الإمام أحمد : وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه ونبيه وعن الجنة والنار ومنكر ونكير حـــق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات .[3]

وقال الإمام القرطبي في " التذكرة " :

" الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب ، والتصديق به لازم ، حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه ، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه ، وما يجيب به ، ويفهم ما أتاه من ربه ، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان ، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي صلي الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار ، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة ، و لم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم صلي الله عليه وسلم غير ما ذكرنا ، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا " أهـــ

فإذا تبين لك هذا فاعلم أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة على أنَّ عذاب القبر ونعيمه على النفس والبدن جميعًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٢/٤) لما سئل عن هذه المسألة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : بَلْ الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمِعَيْنِ كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ .

ثم بين ـــ رحمه الله ـــ أنَّ الفلاسفة وبعض الصوفية أنكروا معاد الأبدان وذهبوا إلى أنَّ النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح ، وأنَّ بعض المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة قالوا بأنَّ الرُّوحَ بِمُفْرَدِهَا لَا تُنَعَّمُ وَلَا تُعَذَّبُ ، وَيُنْكِرُونَ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وذهب آخرون من المعتزلة إلى نفي ذلك جملة

---

[3] تاريخ دمشق (٣١١/٢١) .

وقالوا : إنَّ الْبَرْزَخَ لَيْسَ فِيهِ نَعِيمٌ وَلَا عَذَابٌ ، بَلْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى . وكل ذلك بَاطِلٌ .

أما الأدلة من السنة النبوية فكثيرة جداً.

١) منها : ما أخرجه البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ ، فَقَالَتْ لَهَا : أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .[٤]

٢) ومنها : ما في الصحيحين عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ صلي الله عليه وسلم وَقَدْ وَجَبَتْ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ : " يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا " .[٥]

٣) ومنها ما في الصحيحين أيضاً عَنْ عائشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم أخبرته أنَّ رسول الله صلي الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ .[٦]

وهذا كما هو مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة .

Ω قال المروزي : قال أبو عبد الله ــ يعني الإمام أحمد ــ : عذاب القبر حق لا ينكـره إلا ضـال مضل.

قال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر . فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم إسناد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به رسول الله صـلي الله عليه وسلم ورفعناه ورددناه رددنا على الله أمره ، قال الله تعالى : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ " [الحشر/٧]

---

[٤] أخرجه البخاري (١٣٧٢) كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر .

[٥] متفق عليه . أخرجه البخاري (١٣٧٥) كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم (٢٨٦٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

[٦] متفق عليه أخرجه البخاري (٨٣٣) كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم (٥٨٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يعذبون في القبور.

قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر ، ومنكر ونكير ، وأن العبد يسأل في قبره فـــ " يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ" [إبراهيم/٢٧] في القبر . أهـــ

ثم إنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة .

قال تعالى " وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون " [المؤمنون/١٠٠]

وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ، وسمى عذاب القبر ونعيمه ؛ لأنه روضة أو حفرة نار ، باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحُرق والغُرق وأكيل السباع والطيور له من عـــذاب الـــبرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما ، وقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار ، وصار رماداً ، وذرى بعضه في البحر ، وبعضه في البر في يـــوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك .

Ω عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم : ذكر رجلا فيمن كان سلف أو قبلكم آتاه الله مالا وولدا يعني أعطاه قال فلما حضر قال لبنيه : أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فإنه لم يبتئر (لم يدخر) عند الله خيرا ، وإن يقدم على الله يعذبه فانظروا فـــإذا مـــت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني ، أو قال : فاسهكوني ثم إذا كان ريح عاصف فأذروني فيها فأخذ مواثيقهم على ذلك ـــ وربي ـــ ففعلوا .

فقال الله : كن فإذا رجل قائم . ثم قال أي عبدي ما حملك على ما فعلت .

قال : مخافتك أو فرق منك فما تلافاه أن رحمه الله " [٧]

فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه هذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال ، حتى لو علق علـــى رؤوس الأشجار في مهاب الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح في آتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً ، والهواء على ذلك ناراً وسموماً ، فعناصر العالم وموادها منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ، ولا يستعصي عليه منها شئ أراده ، بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ، ومـــن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين ، وكفر به ، وأنكر ربوبيته.

---

[٧] متفق عليه . أخرجه البخاري (٦٤٨١) ك الرقاق ، باب الخوف من الله .ومسلم (٢٧٥٧) ك التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

والله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيباً ، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ، ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إمَّا من الجنة وإمَّا من النار ، ويؤمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر ، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه ، وتارة بإشارته ، وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة.

Ω وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ، ويقر بقدرته ، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمةً منه ورحمةً بهم ، لأنَّهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها ، والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وكثيراً ممن أشهده الله ذلك صعق ، وغشي عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمنا ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ، فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً.

Ω ثم إنَّ النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا ، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها ، وإنَّما هي من نار الآخرة وخضرها وهي أشدُّ من نار الدنيا ، فلا يحس به أهل الدنيا ، فإنَّ الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر ، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره ، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره.

Ω وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك ، وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه.

Ω فيُفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور ، فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيَّبه عن غيره ، إذ لو أطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف ، والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس ، كما روى أنس رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع "[8] ولمَّا كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله صلي الله عليه وسلم بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره .

[8] أخرجه مسلم (٢٨٦٧) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

فعن زيد بن ثابت قال : بَيْنَمَا النَّبِيّ صلي الله عليه وسلم فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجّارِ، عَلَىَ بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ. وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ: "مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا . قَالَ: "فَمَتَىَ مَاتَ هَؤُلاَءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: " إِنّ هَذِهِ الأُمّةَ تُبْتَلَىَ فِي قُبُورِهَا. فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ". ثُمّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ : "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ النّارِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ النّارِ. فَقَالَ: "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " . قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . قَالَ: "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدّجّالِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدّجّالِ.[٩]

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ :

وإنّما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين ، وإنّما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله صلي الله عليه وسلم " لولا أن لا تدافنوا ...الحديث " .فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية ؛ لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن ، أو يهلك الحي عند سماعه، إذ لا يطاق سماع شيءٍ من عذاب الله في هذه الدار لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ، وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل من يليه ؟ وقد قال صلي الله عليه وسلم في الجنازة : " لو سمعها الإنسان لصعق " [١٠].

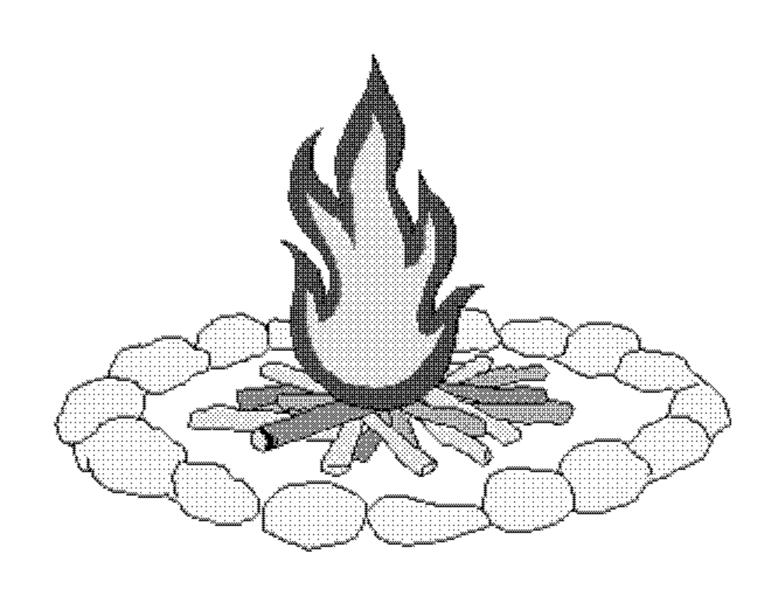
قلت : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولا هوان ، فكيف إذا حل به الخزي والنَّكال واشتد عليه العذاب والوبال؟

فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته ومنه.

---

[٩] الحديث السابق .

[١٠] أخرجه البخاري (١٣٨٠) ك الجنازة ، باب كلام الميت على الجنازة .



التخويف من أهوال القبور

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنَّه ليناوله بعضُهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء ، فيقولون : ما أطيب هذه الريح الطيبة التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشدُّ فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه فإنَّه كان في غم الدنيا فإذا قال : أما أتاكم قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية .

وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل ، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : ما أنتن هذه الريح ، حتى يأتوا به أرواح الكفار.[11]

Ω! قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان لقد بت الليلة أتفكر في القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلي الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب .

Ω! وعنه أيضا أنه ـــ رحمه الله ـــ شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر هو وأصحابه ناحية عن الجنازة ، فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها . فقال : نعم ناداني القبر من خلفي : يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة قلت : بلى . قال : أحرقت الأكفان، ومزقت الأبدان ، ومصصت الدم ، وأكلت اللحم .

Ω!قال:ألا تسألني ما صنعت بالأوصال . قلتُ : بلى !

قال : نزعت الكتفين من الذراعين ، والذراعين من العضدين ، والعضدين من الكتفين ، والوركين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين ، ثم بكى. ثم قال :

ألا إنَّ الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، فالمغرور من اغترَّ بها .

[11] أخرجه النسائي (١٨٣٣) ك الجنائز ، ، وابن حبان (٧٣٣) ، والحاكم (٣٥٢/١ ، ٣٥٣) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .والحديث صححه الشيخ الألباني ـــ رحمه الله ـــ في الصحيحة (١٣٠٩) ، وصحيح الجامع (٤٩٠) .

! أين سكانها الذين بنوا مدائنها ، وشقوا أنهارها ، وغرسوا أشجارها ، وأقاموا فيها أياماً يسيرة ، غرتهم بصحتهم فاغتروا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، وإنهم كانوا ـــ والله ـــ في الدنيا مغبوطين بالمال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه .

! ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة ، وفرش منضودة بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون ، وجيران يغضون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ، وسر بعسكرهم ، وانظر إلى تقارب منازلهم ، واسأل غنيهم ما بقى من غناه ، واسأل فقيرهم ما بقى من فقره ، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون ، واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان تحت الألوان وأطلت اللحمان ، وعفّرت الوجوه ، ومحت المحاسن ، وكسرت الفِقار ، وأبانت الأحشاء ، ومزقت الأشلاء ، وأين حجابهم ، وبوابهم ؟؟ أين خدمهم وعبيدهم ؟؟ وجمعهم ومكنونهم ؟؟ والله ما فرشوا فراشاً ، ولا وضعوا هنالك متكئاً ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً.

! أليسوا في منازل الخلوات والبلوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء ؟ وقد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة.

! فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية ، وأجسادهم عن أعناقهم نائية ، وأوصالهم متمزقة ، وقد سالت الحدقات على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ، ففرقت أعضاءهم ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا ، حتى عادت العظام دميماً.

! قد فارقوا الحدائق ، وصاروا بعد السعة إلى المضايق ، وقد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبناؤهم ، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم .

فمنهم : ـــ والله ـــ الموسع له في قبره الغض الناضر فيه المتنعم بلذته ، ومنهم : المعذب في قبره المضيق عليه فيه ، النادم على ما فرط .

يا ساكن القبر غداً

ما الذي غرك من الدنيا ؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد ؟ وأين ثمرتك الحاضر ينعها ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ وأين طيبك وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً وهو يرشح عرقاً ، ويتلظى عطشاً ، يتقلب في سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاء من الأمر الأجل ما يمتنع من هيهات.

! يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ... يا مكفن الميت وحامله... يا مخليه في القبر وراجعاً عنه ... ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى ... ليت شعري بأي خديك يبدأ البلى ... وأي عينيك سالت أولاً ... يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى... ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني من رسالة ربي !

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة ثم مات ــ رحمه الله ــ .

أخي الحبيب

! توهم نفسك حين استطار قلبك فرحاً وسروراً ، أو مُلِئ حزناً وعبرة ، وبفترة القبر وهول مطلعه وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك ، فمتثبت من الله ـــ جل ثناؤه ـــ بالقول الثابت ، أو متحير شاك مخذول .

! فتوهم أصواقما حين يناديانك لتجلس لسؤالهما إياك ؛ ليوقفاك علي مسائلتهما ، فتوهم جلستك في ضيق لحدك ، وقد سقطت أكفانك على جفويك ، فتوهم ذلك ، ثم شخوصك ببصرك إلى صورقما وعظم أجسامهما ، فإنْ رأيتهما بحسن الصورة ، أيقن قلبك بالفوز والنجاة ، وإن رأيتهما بقبح الصورة أيقن قلبك بالهلاك والغضب.

! فتوهم أصواقما وكلامهما بنغماقا وسؤالهما ، ثم هو تثبيت الله إياك إنْ ثبتك أو تحييره إن خذلك.

! فتوهم جوابك باليقين أو بالتحير أو بالشك ، وتوهم إقبالهما عليك إن ثبتك الله عز وجل بالسرور ، وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار، ثم توهم وهى تتأجج بحريقها وإقبالها عليك ، وأنت تنظر إلى ما صرف الله عنك، فيزداد لذلك قلبك سروراً وفرحاً وتوقن بسلامتك من النار بضعفك.

! ثم توهم ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك : يا عبد الله انظر إلى ما أعدَّ الله لك فهنا مترلك ، وهذا مصيرك ، فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عانيت من نعيم الجنان وبهجة ملكهما وعلمك أنك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها

! وإن كانت الأخرى فتوهم خلاف ذلك كله ، من الانتهار لك ، ومن معاينتك الجنة ، وقولهما لك : انظر إلى ما حرمك الله عز وجل ومعاينتك النار ، وقولهما لك : انظر إلى ما أعدَّ الله لك ، فهذا مترلك ومصيرك فأعظِمْ بهذا خطراً !! وأعظِمْ به عليك في الدنيا غماً وحزناً حتى تعلم أي الحالتين في القبر حالك !!

يَا مَنْ بدنياهُ اشْتَغَـــل　　　وغـــرّه طـــولُ الأمل
المـــوتُ يأتي بَغْتـــةً　　　والقَبْـــرُ صُنْدوقُ العَمَل

أهوال القبور

وأهوال القبور أولها :

١- تكليم القبر :

عن أبي سعيد الخدري قالَ: "دَخَلَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم مُصَلاّهُ فَرَأَى نَاساً كَأَنّهُمْ يَكْتَشِرُونَ ، قَالَ : " أَمَا إِنّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللّذَاتِ لشَغَلَكُمْ عَمّا أَرَى الموت ، فَأَكْثرُوا من ذِكْرِ هَاذِمِ اللذَات ـــ المَوْت ـــ ، فَإِنّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إلاّ تَكَلّمَ فيه يَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الغُرْبَة، وأَنَا بَيْتُ الوَحْدَة ، وأَنَا بَيْتُ التّرَاب ، وَأَنَا بَيْتُ الدُود، فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ قَالَ لَهُ القَبْرُ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبّ مَنْ يَمْشي عَلَى ظَهْرِي إِلَيّ فَإِذْ وَلِيْتُكَ اليَومَ وَصِرْتَ إِلَيّ فَسَتَرَى صَنِيْعِي بِكَ.

قال: فَيَتّسِعُ لَهُ مَدّ بَصَرِه وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنّة. وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ أَو الكَافِرُ قَالَ لَـــهُ القَبْـــرُ: لاَمَرْحَباً وَلاَ أَهْلاً أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيّ فَإِذْ وَلِيتُكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيّ فَسَتَرَى صَنِيْعي بِكَ .

قَالَ فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتّى تَلْتَقِي عَلَيْهِ وَتَخْتَلفَ أَضْلاَعُهُ.

قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم بِأَصَابِعه فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ قَالَ: وَيُقَيّضُ الله لَهُ سَبْعُونَ تِنّيناً لَوْ أَنّ وَاحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئاً مَا بَقِيتْ الدُنْيَا، فَيَنْهَشنَه وَيَخْدشْنَهُ حَتّى يُفْضَى بِه إِلَى الْحِسَاب. قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلي الله عليه وسلم " إِنّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنّة، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النّارِ ".[١٢]

Ω عن عبد الله بن عبيد قال : بلغني أن الميت يقعد في حفرته ، وهو يسمع وخط مشيعيه ، ولا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتني ، وحُذِّرت ضيقي وظلمتي ، ونتني وهولي ودودي ، هذا ما أعددت لك ، فما أعددت لي ؟! "[١٣]

Ω وروى ابن عبد البر في التمهيد بإسناده عن ابن عائذ عن غضيف بن الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه **قال:** إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ما غرك بي ؟

---

[١٢] أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) ك صفة القيامة ، وقال : حديث غريب ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٧) وضعيف الجامع (١٢٣١) ، وذهب صاحب التحرير المرسخ إلى تحسينه .

[١٣] أخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية نعيم بن حماد في نسخته ص ٤١ برقم (١٦٣) ط دار الكتب العلمية بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، وقال الحـــافظ العراقـــي في تخـــريج الإحياء : أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ، ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلغني و لم يرفعه.

قال ابن الأثير في النهاية (١٦٤/٥) الوخط : الخفق والصوت على الأرض . قال القرطبي في التذكرة : الوخط : سرعة السير في المشي .

Ω ألم تعلم أنّي بيت الوحدة ؟

Ω ألم تعلم أنّي بيت الظلمة ، ألم تعلم أنّي بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرَّك بي ، لقد كنت تمـــشي حولي فداداً .

قال ابن عائذ : قلت لغضيف : ما الفداد يا أبا أسماء ؟

قال : بعض مشيتك يا ابن أخي أحيانا .

قال غضيف : فقال عبد الله بن عبيد بن عمير لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً وسع له فماذا له ؟

قال : يوسع له في قبره ، ويجعل مترله أخضر ، ويعرج بنفسه إلى الله تعالى .[١٤]

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لسانا ينطق به فيقول : يا ابن آدم كيف نسيتني ؟ أما علمت أني بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة .

! وقال أيضاً : إن القبر ليبكي ويقول في بكائه : أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الدود .[١٥]

! قال يزيد بن سخبرة : " يقول القبر للرجل الكافر أو الفاجر : أما ذكرت ظلمتي ، أما ذكرت وحشتي ، أما ذكرت ضيقي ، أما ذكرت غمي " .

! وعن عبيد بن عمير قال : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها : أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد ، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً ، كنت اليوم عليك رحمة ، وإن كنت لربك في حياتك عاصياً ، فأنا عليك نقمة ، أنا البيت الذي من دخله مطيعاً خرج منه مسروراً ، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً .

! وعن محمد بن صبيح قال : بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فَعُذِّب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى : أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه أما كان لك فينا معتبر ؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة ؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا هنا وأنت في المهلة ؟ فهلا استدركت ما فات ؟ وتناديه بقاع الأرض : أيها المغتر بظهر الأرض هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ، ثم سبق به أجله إلى القبور ، وأنت تراه محمولاً تناديه أحبته إلى المترل الذي لا بد له منه.

---

[١٤] التمهيد لابن عبد البر (١٤٥/١٨) ط مكتبة ابن تيمية .

[١٥] ذكرهما القرطبي في التذكرة ص١٠٨ وعزاهما لهناد بن السري بإسناد رجاله ثقات .

٢- ضمة القبر :

عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : " إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها نجا سعد بن معاذ "[١٦]

وإذا كان هذا لسعد بن معاذ زعيم الأنصار المقتول شهيداً بسهم وقع في أكحله في غزوة الخندق ، هذا الذي اهتز عرش الرحمن لموته فما بالك بغيره؟ نسأل اللّه السلامة .

فهذه الضغطة لا ينجو منه صالح ولا طالح لكن الكافر يدوم ضغطه والمؤمن لا، والمراد به التقاء جانبي القبر على الميت ، إذ ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة فإن كان صالحاً فهذه جزاؤه ثم تدركه الرحمة ، وقد كان يقال لها ضمة إذ أصل ذلك أن الأرض أمهم ، منها خلقوا فغابوا عنها طويلاً فتضمهم ضمة والدة غاب عنها ولدها فالمؤمن برفق والعاصي بعنف غضباً عليه ، فقد خلق الآدمي من هذه الأرض وقد أخذ عليه العهد والميثاق في العبودية له فما نقص من وفاء العبودية صارت الأرض عليه واجدة ، فإذا وجدته في بطنها ضمته ضمة ، ثم تدركه الرحمة فترحب به وعلى قدر سرعة مجيء الرحمة يتخلص من الضمة ، فإن كان محسناً فإن رحمة اللّه قريب من المحسنين ، فإذا كانت الرحمة قريبة من المحسنين لم يكن الضم كثيراً ، وإذا كان خارجاً من حد المحسنين لبث حتى تدركه الرحمة ولا ينافيه اهتزاز العرش لموته لأن دون البعث زلازل وأهوال لا يسلم منها ولي ولا غيره " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوا " [مريم/ ٧٢]

قال عمر: لو كان لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع .

وفي الحديث إشارة إلى أن جميع ما يحصل للمؤمن من أنواع البلايا حتى في أول منازل الآخرة وهو القبر وعذابه وأهواله لما اقتضته الحكمة الإلهية من التطهيرات ورفع الدرجات ، ألا ترى أن البلاء يخمد النفس ويذلها ويدهشها عن طلب حظوظها ، ولو لم يكن في البلاء إلا وجود الذلة لكفى إذ مع الذلة تكون النصرة.

وأهل الاستقامة يردون اللحود وقد يكون فيهم خصلة عليهم فيها تقصير فيردون اللحد مع بعض التقصير غير نازعين عنه ، وليس ذلك بذنب ولا خطيئة فيعاتبون في قبورهم عليه ، فما بالنا نحن

[١٦] أخرجه الإمام أحمد (٦ / ٥٥ ، ٩٨) و جود إسناده الحافظ العراقي كما في تخريج الإحياء وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وابن حبان في صحيحه (٣٧٩/٧) برقم (٣١١٢) عن أم المؤمنين عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير (٣٣٤/١٠) برقم (١٠٨٢٧) ، (٢٣٢/١٢) برقم (١٢٩٧٥) من حديث ابن عباس كذا فيه لكن أفاد العلامة الشيخ الألباني كما في الصحيحة (٢٧١/٤) أن الذي يغلب على الظن أنه من حديث عبد الله بن عياش لا ابن عباس ـــ والله أعلم ـــ ولفظه " **لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضم ضمة ثم روخي عنه** "

والحديث صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه وشواهده في الصحيحة (١٦٩٥) وصحيح الجامع (٢١٨٠) ، (٥٣٠٦) .

والذنوب كثيرة والتفريط بالغ منهاه رب سلم سلم. ! وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: دفن صبي فقال رسول اللّه صلي الله عليه وسلم . لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي [١٧] وظاهر الحديث أن الضمة لا ينجو منها أحد باستثناء الأنبياء فحتى الصبي ضمَّ نعوذ بالله من ضمة القبر وفتنة القبر .

٣- سؤال الملكين :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلي الله عليه وسلم :

" إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِه فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صلي الله عليه وسلم ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا . قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ

قَالَ صلي الله عليه وسلم : وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ . [١٨]

! عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : " يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر، ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير ، أصواهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنياهما فتلتلاك وترتراك، كيف بك عند ذلك يا عمر؟ فقال عمر: ويكون معي عقلي مثل عقلي الآن؟

قال "نعم" قال "إذن أكفيكهما " [١٩]

---

[١٧] أخرجه الطبراني في الكبير (١٢١/٤) برقم (٣٨٥٨) ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٢٣٨) .

[١٨] متفق عليه . أخرجه البخاري (١٣٧٤) ك الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر . ــ واللفظ له ــ

ومسلم (٢٨٧٠) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه .

[١٩] قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات. وقال البيهقي في الاعتقاد : رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا . قلت : ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال : غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل ، ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر ؛ فقال عمر: أيرد إلينا عقولنا؟ فقال "نعم كهيئتكم اليوم" فقال عمر: بفيه الحجر.

الثلاثة الأخر من أهوال القبور :

٤- دخول الجليس .

٥- رؤية مقعده من الجنة أو النار .

٦- العذاب أو النعيم .

وهذه الثلاثة مجتمعة دليلها تفصيلاً في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأهل السنن وصححه جماعة من العلماء والشيخ الألباني في أحكام الجنائز وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال :

" خرجنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد ، فجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم مستقبل القبلة ، وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض ، فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ، ثلاثاً ، فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين ، أو ثلاثاً ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً ، ثم قال :

إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت u حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة (وفي رواية : المطمئنة) ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها ، (وفي رواية : حتى إذا خرجت روحه صلي عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قِبَلهم) ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، فذلك قوله تعالى : " توفته رسلنا وهم لا يفرطون " [الأنعام /٦١] ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون – يعني – بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان – بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى

السماء التي تليها ، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، " وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون " [المطففين /١٩-٢١] فيكتب كتابه في عليين ، ثم يقال : أعيدوه إلى الأرض ، فإني وعدهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال: فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه في جسده ، قال : فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ، ويجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، فآمنت به ، وصدقت. فينادى مناد في السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه (وفى رواية : يمثل له) رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، أبشر برضوان من الله ، وجنات فيها نعيم مقيم ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله ، بطيئاً في معصية الله ، فجزاك الله خيراً ، ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار ، فيقال : هذا منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلي ومالي ، فيقال له : اسكن.

قال : وإن العبد الكافر (وفى رواية : الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد ، سود الوجوه معهم المسوح من النار ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب ، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وتعلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان – بأقبح أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى المساء الدنيا فيستفتح له ، فلا يفتح له، ، ثم قرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم : " لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ، حتى يلج الجمل في سم الخياط " [الأعراف /٤٠] فيقول الله عز وجل :

اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، (ثم يقال : أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى) ، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ : " ومن يشرك بالله ، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق " [الحج/٣١] فتعاد روحه في جسده ، قال : فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار ، فينتهرانه ، ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هَاه هَاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاهٍ لا أدري ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلا يهتدي لاسمه ، فيقال : محمدٌ ! فيقول : هاه هاهٍ لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك ! قال : فيقال : لا دريت ، ولا تلوت ، فينادي مناد من السماءِ أن كذب عبدي ، فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه (وفي رواية : ويمثل له) رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : وأنت فبشرك الله بالشر من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث ، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله ، فجزاك الله شراً ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضُرب بها جبل كان تراباً فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضربه ضربة أخرى ، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين ، ثم يفتح له باب من النار ، ويُمهد من فُرش النار ، فيقول : رب لا تقم الساعة.[٢٠]

[٢٠] أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) والحاكم (١/٣٧-٤٠) والطيالسي (٧٥٣) وأحمد (٤/٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦) ـــ والسياق له ـــ والآجري في (الشريعة) (٣٦٧-٣٧٠).

وقال الحاكم "صحيح على شرط الشيخين". وأقره الذهبي ، وهو كما قالا ، وصححه ابن القيم في (إعلام الموقعين) (١/٢١٤) و(تهذيب السنن) (٤/٣٣٧) ، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعيم وغيره ، وصححه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (٢٠٠ : ٢٠٢) وصحيح الجامع (١٦٧٦) .

كيف تنجو من عذاب القبر؟

أخرج ابن حبان في صحيحه ـــ والسياق له ـــ والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه ، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتي من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قبلي مدخل . فيقال له : اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب . فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي . فيقولون : إنك ستفعل أخبرني عما نسألك عنه أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد عليه ؟ قال : فيقول : محمد أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله . فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله .

ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته فيزداد غبطة وسرورا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ، وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدأ منه ، فتجعل نسمته في النسم الطيب وهي طير يعلق في شجر الجنة

قال : وإن الكافر إذا أتي من قبل رأسه لم يوجد شيء ، ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء ، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء ، ثم أتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء ، فيقال له: اجلس فيجلس خائفا مرعوبا . فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أي رجل !! فيقال : الذي كان فيكم فلا يهتدي لاسمه حتى يقال له : محمد . فيقول ما أدري سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس . فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله . ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورا ، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : ذلك مقعدك من الجنة ، وما أعد الله

لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورا ، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله " فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " [طه/١٢٤] [٢١]

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول : يا أيها الناس إني عليكم ناصح ، إني عليكم شفيق ، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور ،وتصدقوا مخافة يوم عسير ، يا أيها الناس إني لكم ناصح إني عليكم شفيق .[٢٢]

---

[٢١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٨٠/٧) برقم (٣١١٣) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو ، والحاكم في المستدرك (٥٣٥/١) برقم (١٤٠٣) .

[٢٢] تاريخ دمشق (٢١٤/٦٦) .

س و ج في عذاب القبر

س٣ : هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟

ج٣ : هو نوعان : منه ما هو دائم كما قال تعالى " النار يعرضون عليها غدواً وعشياً " [غافر/٤٦].

والنوع الثاني : أنه مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه وهو في الممحصات.

س٤ : أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة ؟

ج٤ : يتلخص من أدلة الشرع أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت .

١- فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء وهم أيضاً متفاوتون في منازلهم .

٢- ومنها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، وهي أرواح بعض الشهداء .

٣- ومنها في أسفل سافلين وهي أرواح الكفار والمجرمين " إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء " [الأعراف/٤٠] .

س٦ : هل سؤال القبر خاص بهذه الأمة أو لا ؟

ج٦ : بل هو عام لألفاظ الحديث ففيها الكافر والفاجر والمشرك والمنافق.

صرخة قبل فوات الزمان

يا من يدعى إلى نجاته فلا يجيب ، يا من قد رضى أن يخسر ويخيب ، إن أمرك طريف وحالك عجيب ، اذكر في زمان راحتك ساعة الوجيب ، واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب .

ويحك إن الحق حاضر ما يغيب ، تحصى عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدل وما يخفي المريب ، اسمع لا بد لغربان الفراق من نعيب .

أنساكن الغفلة ولغيرنا نعيب ، يا من سلعه كلها معيب ، اذكر يوم الفزع والتأنيب. " واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب " .

لا بد والله من فراق العيش الرطيب ، والتحاف البلي مكان الطيب ، واعجباً للذَّات بعد هذا كيف تطيب ، ويحك أحضر قلبك لوعظ الخطيب ، " واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب " .

تذكر من قد أصيب كيف نزل بهم يوم عصيب ، وانتبه لأحظ الحظ والنصيب، واحترز فعليك شهيد ورقيب ، إذا حل الموت حل التركيب ، وتقلب مقل القلوب في قلب التقليب .

ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفعك البكاء والنحيب ، لا بد من يوم يتحير فيه الشبان والشيب ، ويذهل فيه الطفل للهول ويشيب ، يا من عمله كله رديء فليته قد شيب ، " واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ".

أجارنا الله بكرمه منها ، ووفقنا لما ينجي عنها ، وجعلنا بفضله ممن قام بما يؤمر واجتنب ما عنه ينهى ، فكم له من نعم سامية " نار حامية " .

نُراعُ لذكرِ الموتِ ساعةَ ذكرهِ

وتعترضُ الدنيا فنلهو ونلعب

يسعى الفتى وخيولُ الموتُ تطلبُهُ

وإن نوى وقفةً فالموتُ ما يقف

نحن بنو الموتى فما بالنُا

نعافُ ما لا بُدَّ من شُرْبهِ